بسم الله الرحمن الرحيم

المدخل الجامع إلى علم النحو العربي

بقلم: د. أمين قادري

*__تمهيد__: الغاية من دراسة المدخل الجامع إلى النحو العربي:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فهذا مدخل جامع لعلم من علوم الإسلام العظيمة، التي عليها الارتكاز في أبنية الكلام، وهو علم النحو العربي، وقد اخترنا هذا العلم لكثرة ما يتعلق به من المباحث الموزعة على تخصصات مختلفة في الثقافة العربية الإسلامية، بين العلوم الشرعية والعلوم النظرية والعلوم اللغوية، ثم استكمالا لجهود التعريف بالعلوم اللغوية التي نسأل الله عز وجل أن يوفقنا لمتابعتها وتوضيحها في مناسبات قادمة.

وقد تعمدنا هذا المدخل لأسباب ومقتضيات موضوعية نجملها فيما يلي:

1-التصور المجمل لعلم النحو، ومعرفة أسسه ومواضع استمداده وتطبيقه: فالإدراك الشامل لعلم من العلوم يقتضي التعرف على أسسه ومنطلقاته، وقواعده ومناهجه واستمداداته المعرفية من خارجه، وطبيعته(وهو أمر بالغ الأهمية).

2-معرفة تداخل علوم العربية من جهة، وتداخل العلوم الإسلامية من جهة: وهذا التداخل يمكننا من فهم ما تتحد فيه أسس الاستدلال الشرعية واللغوية من جهة، وما تختلفان فيه من جهة اخرى، كما يمكننا من فهم مواضع حضور المعرفة اللغوية عموما والنحوية خصوصا في العلوم الشرعية، حتى نتفادى في هذا السياق الإفراط(كحال المقتصرين على الدلالة اللغوية في فهم النصوص الشرعية)، والتفريط(كحال المقصرين في تصور الدلالات اللغوية وأساليب العربية وعدم استحضارهم إياها في فهم النصوص الشرعية).

3-معرفة أن علم النحو أوسع من معرفة الأحكام النحوية: وأن الأحكام النحوية موصلة إلى إكساب الملكة الأولى من اللسان، وأن وراء ذلك من المعارف النحوية ما يبلغ بالدارس فهم أسرار كلام العرب،

أو حكمة الواضع فيما وضع، كما أن وراء الأحكام معارف بما تقوم الأحكام، وتتصرف وجوه الكلام بتصرفها.

4-تصحيح كثير من المفاهيم المغلوطة المتعلقة بعلم النحو، سواء من جهة تصوره أو من جهة تأسيسه أو من جهة حدوده أو من جهة تأريخه: وهذه الأحكام مصادرها متنوعة، فمنها الاعتماد على روايات الأخباريين في وضع العربية دون تمحيص لها، ومنها عدم التفريق بين مؤلفات أهل الصناعة ومؤلفات أهل التعليم من جهة، وبين مؤلفات المتقدمين ومؤلفات المتأخرين من جهة أخرى، ومنها تسليم كثير من الدارسين المحدثين خاصة بتقريرات بعض المستشرقين واستنتاجا من غير نظر فيها ولا تمحيص لها. وكل واحد من هذه الأسباب كان له أثر في تحريف الفهوم عن حقيقة علم النحو وعلاقته بالعلوم الإسلامية وإفصاحه عن المنطق العربي الإسلامي في دراسة الظواهر اللغوية، كما كان له أثر في تعفية أثر أصالة العلوم العربية الإسلامية ودورها في الحضارة الإنسانية، واعتقاد بعض الدارسين من الغربيين والعرب التابعين لهم أنها كانت قناة ناقلة للموروث العلمي الإغريقي إلى العالم الغربي الحديث والمعاصر.

-قال الشاطبي في الإفادات والإنشادات(ص107): كثيراً ما كنت أسمع الأستاذ أبا علي الزواوي يقول: قال بعض العقلاء: لا يسمى العالم بعلم ما عالما بذلك العلم على الإطلاق، حتى تتوفر فيه أربعة شروط: أحدها أن يكون قد أحاط علماً بأصول ذلك العلم على الكمال. والثاني أن تكون له قدرة على العبارة عن ذلك العلم. والثالث أن يكون عارفاً بما يلزم عنه. والرابع أن تكون له قدرة على دفع الإشكالات الواردة على ذلك العلم. قلت: وهذه الشروط رأيتها منصوصة لأبي نصر محمد بن محمد الفارابي الفيلسوف في بعض كتبه.

-قال ابن الأزرق في روضة الإعلام(ص293): قال[الشاطبي]: "وإذا تقرر هذا فكل صاحب نحلة أو صناعة أو علم، إذا كان متقيا لله تعالى، عاملا بما علم، يفتح له من ملكوت ما هو فيه ما شاء الله أن يفتح له، فالصانع يرى ملكوت صناعته، والنحوي يرى ملكوت نحوه، والفقيه يرى ملكوت فقهه، وسائر الحرف والنحل يرى أصحابها ملكوتها، ويكون هو الباب إلى رؤية ملكوت السماوات والأرض على حسب ما هي له من ذلك من قليل أو كثير".

1-مفهوم النحو وعلم النحو:

1-مادة النحو في المعجم:

سنتعمد في هذا العنصر أن نتأمل مادة نحو في المعاجم اللغوية الأولى التي كتبت في القرون الأربعة المتقدمة، وأن نلفت الانتباه إلى العلاقة التي يبينها أصحاب هذه المعاجم بين المعنى اللغوي للنحو والمعنى الاصطلاحي، ذلك أن المعاني المذكورة للمادة ليست كلها بالضرورة مقصودة في المعنى الاصطلاحي.

*قال الخليل في معجم العين: "النَّحْوُ: القَصْدُ نَحْوَ الشّيء. نَحَوْتُ نحوه، أي: قَصَدْتُ قَصْدَهُ، **وبلغنا أنّ أبا الأسودِ وضع وجوهَ العربيّة، فقال للناس: أُنحوا نَحْوَ هذا فسُمِّي نحواً**. ويُجمعُ على الأَنْحاء. قال:

وللكلامِ وجوهٌ في تَصَرُّفِه *** والنّحو فيه لأهل الرأي أنحاءُ"[1]

*وقال ابن دريد في الجمهرة: "والنحو: الْقَصْد نحوت الشَّيْء أنحوه نَحوا إِذا قصدته. وكل شَيْء أممته ويممته جَمِيعًا فقد نحوته، **وَمِنْه اشتقاق النَّحْو فِي الْكَلَام، كَأَنَّهُ قصد الصَّوَاب**"[2].

*وقال الأزهري في التهذيب: "وَأَخْبرنِي المنذريُّ عَن الحرانيّ عَن ابْن السّكيت قَالَ: نحَا نَحْوَه يَنْحُوه إِذا قصَدَه، ونحا الشيءَ يَنْحَاهُ ويَنْحُوه إِذا حرَّفه، **وَمِنْه سمّي النحويّ لِأَنَّهُ يحرفُ الْكَلَام إِلَى وُجُوه الْإِعْرَاب**"[3]، إلى أن قال: "وَثَبت عَن أهل يُونَان فِيمَا يذكر المتَرْجِمُون العارِفُون بلسانهم ولغتِهم أَنَّهُم **يسمون عِلْم الألفاظِ والعناية بالبحث عَنهُ[نحوا]**[4]؛ فَيَقُولُونَ كانَ فُلانٌ من النحويّين، وَلذَلِك سميّ يوحنا الإسكندرانيُّ يحيى النحويَّ للَّذي كَانَ حَصَلَ لَهُ من الْمعرفَة بلغَة اليُونَانِ".

*وقال ابن فارس في المقاييس: "النُّونُ وَالْحَاءُ وَالْوَاوُ كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَى قَصْدٍ. وَنَحَوْتُ نَحْوَهُ. **وَلِذَلِكَ سُمِّيَ نَحْوُ الْكَلَامِ، لِأَنَّهُ يَقْصِدُ أُصُولَ الْكَلَامِ فَيَتَكَلَّمُ عَلَى حَسَبِ مَا كَانَ الْعَرَبُ تَتَكَلَّمُ بِهِ**"[5].

إن هذه النصوص المنقولة عن المعجميين العرب الأوائل تتقاطع في مسألتين أساسيتين:

1-أن تسمية هذا الضرب من العلوم نحوا منظور فيه إلى الدلالة اللغوية، وإليه أشار أبو الفتح ابن جني في الخصائص بقوله: "وهو في الأصل مصدر شائع أي نحوت نحوًا كقولك: قصدت قصدًا ثم خص به

---

[1]-العين، الخليل بن أحمد، تحق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، (302/3).

[2]-جمهرة اللغة، أبو بكر ابن دريد، تحق رمزي منير بعلبكي، (575/1)

[3]-تهذيب اللغة، أبو منصور الأزهري، حقق الجزء الاخمس عبد الله درويش، (252/5).

[4]-الزيادة من اللسان في نقله عن الأزهري، وسقطت من مطبوعة التهذيب ونبه على ذلك المحقق.

[5]-مقاييس اللغة، ابن فارس الرازي، تحق عبد السلام هارون، (403/5).

انتحاء هذا القبيل من العلم كما أن الفقه في الأصل مصدر فقهت الشيء أي عرفته ثم خص به علم الشريعة من التحليل والتحريم"[6].

2-إرادة معنى القصد أو التحريف(أي تحريف الوجهة) في تسمية النحو نحوا، إلا أن السؤال المتبادر الذي يثيره الخلاف بين النصوص السابقة: هذا القصد إلام هو؟ حيث نتلمس مما سبق هذه الاتجاهات في فهم القصد النحوي:

أ-القصد إلى الصواب.

ب-القصد أو التحريف إلى وجوه الإعراب.

ج-القصد إلى أصول الكلام.

إن الإجابة عن هذا السؤال تعدو بنا النظر في المعاجم إلى النظر في الدلالات الاصطلاحية المذكورة في كتب أهل الصناعة النحوية.

2-النحو وعلم النحو في الاصطلاح:

*قال ابن السراج في الأصول: "النحو إنما أريد به أن ينحو المتكلم إذا تعلمه كلام العرب، وهو علم استخرجه المتقدمون فيه من استقراء كلام العرب، حتى وقفوا منه على الغرض الذي قصده المبتدئون بهذه اللغة, فباستقراء كلام العرب فاعلم: أن الفاعل رفع, والمفعول به نصب, وأن فعل مما عينه: ياء أو واو تقلب عينُه من قولهم: قام وباع"[7].

*قال ابن جني في الخصائص: "هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع والتحقير والتكسير والإضافة والنسب والتركيب وغير ذلك ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها وإن لم يكن منهم وإن شذ بعضهم عنها رد به إليها"[8].

*قال ابن عصفور في المقرب: "النحو علم مستخرج بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب، الموصلة إلى معرفة أحكام أجزائه التي تأتلف منها، وهذه الأحكام ليست وزنية"[9].

---

[6]-الخصائص، أبو الفتح ابن جني، تحق محمد علي النجار، (34/1).

[7]-الأصول في النحو، أبو بكر بن السراج، تحق عبد الحسين الفتلي، (35/1).

[8]-الخصائص، أبو الفتح ابن جني، (34/1).

[9]-المقرب، أبو الحسن ابن عصفور، تحق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ص67.

*قال الفاكهي في حدوده: "علم بأصول يعرف بها أحوال الكلم إعرابا وبناء"[10].

3-المصطلحات الدالة على علم النحو:

اختلفت المصطلحات الدالة على علم النحو العربي، لاختلاف الاصطلاح والمواضعة أحيانا، ولاختلاف التصور أحيانا أخرى. فأما المواضعة والاصطلاح فاختلف الأمر بهما لاختلاف الأزمان أحيانا، حيث زال مصطلح العربية وعلم العربية تدريجا وصار العلم مخصوصا باسم النحو وعلم النحو. واختلف أحيانا أخرى لاختلاف الأقطار، حيث عرف عن المغاربة والأندلسيين الاحتفاظ باسم العربية وعلم العربية إلى عصور متأخرة.

أ-العربية/علم العربية/علم العرب: يعد هذا المصطلح من أقدم المصطلحات، وقد ورد في كثير من النصوص الأخبارية التاريخية المروية عما قبل مرحلة سيبويه، فمن ذلك ما ذكره الزبيدي في طبقات النحويين واللغويين: "ابن أبي سعد قال: قال ابن نوفل[11]: سمعتُ أبي يقول لأبي عمرو بن العلاء: أخبرني عما وضعتَ **مما سميتَه عربية**، أيدخل فيها كلام العرب كله؟ فقال: لا. فقلت: كيف تصنع فيما خالفتك فيه العربُ وهم حُجَّة؟ قال: أعمل على الأكثر، وأسمي ما خالفني لغات"[12]. وأما علم العربية فممن استعمله أبو الفتح ابن جني في كتاب المنصف شرح كتاب التصريف حيث يقول: "فلهذه المعاني ونحوها ما كانت الحاجة بأهل علم العربية إلى التصريف ماسّة"[13]. وسمى أبو حيان على تأخره بعض كتبه: اللمحة البدرية **في علم العربية**[14]. وأما مصطلح علم العرب فاختص باستعماله ابن جني في خصائصه، كقوله في مقدمته منوها بكتابه: "هذا مع إعظامي له وإعصامي بالأسباب المنتاطة به واعتقادي فيه أنه من أشرف ما صنف في **علم العرب** وأذهبه في طريق القياس والنظر"[15]، وقله في موضع آخر: "فجعل أهل علم العرب ما استمر من الكلام في الإعراب وغيره من مواضع الصناعة مطردًا وجعلوا ما فارق ما عليه بقية بابه وانفرد عن ذلك إلى غيره شاذًا"[16].

ب-علم النحو: وهو أشهر من أن نمثل له، ومواضع استعماله في العناوين والمضامين أكثر من أن تحصر.

---

[10]-شرح كتاب الحدود في النحو ، عبد الله بن أحمد الفاكهي، تحق المتولي رمضان أحمد الدميري، ص53.

[11]-وهم محقق طبقات الزبيدي الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم، فزعم أن ابن نوفل هذا هو عبد الملك بن نوفل بن مساحق، والصواب أنه علي بن محمد بن سليمان النوفلي كما سماه ابن خلكان في الوفيات(468/3). نوفل بن مساحق تابعي وأثبت له بعضهم صحبة فهو متقدم على أبي عمرو رحمه الله.

[12]-طبقات النحويين واللغويين، أبو بكر الزبيدي، (ص39).

[13]-المنصف شرح كتاب التصريف، ابن جني، تحق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، (03/1).

[14]-طبع من شروحها شرح ابن هشام وشرح البرماوي.

[15]-الخصائص، ابن جني، (01/1).

[16]-الخصائص، ابن جني، (97/1).

ج-الإعراب/علم الإعراب: يستعمل مصطلح الإعراب لإرادة علم النحو، كما استعمله الإمام أبو الحسن علي بن فضال المجاشعي في كتابه: "شرح عيون الإعراب"[17]، يطلق علم الإعراب ويراد به علم النحو عند جماعة من المتقدمين والمتأخرين، ومن أقدم المستعملين له عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز حيث يقول: "وإنه على الجملة بحث يَنْتقي لكَ من علمِ الإِعراب خالصَه ولُبَّه، ويأخذ لك منه أناسى العيون وحباب القلوب، وما لا يدَفْع الفضلُ فيه دافعٌ، ولا يُنْكِر رجحانَه في موازينِ العقولِ مُنْكِرٌ"[18]. وكذلك يراد بعلم الإعراب علم النحو في تقسيم الزمخشري علوم العربية إذ يقول: "اعلم أنَّ أصناف العلوم الأدبية ترتقي إلى اثني عشر صنفاً: الأول: علم اللغة، والثاني: علم الأبنية، والثالث: علم الاشتقاق، والرابع: **علم الإعراب**[19]، والخامس: علم المعاني، والسادس: علم البيان، والسابع: علم العروض، والثامن: علم القوافي، والتاسع: إنشاء النثر، والعاشر: قرض الشعر، والحادي عشر: علم الكتابة، والثاني عشر: المحاضرات"[20].

د-علم التراكيب: وهي تسمية حديثة نسبيا الغرض منها تمييز علم النحو عن علم الصرف.

[17]-طبع طبعات متعددة بتحقيق حنا جميل حداد، وبتحقيق عبد الفتاح سليم.

[18]-دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحق محمود شاكر، (ص42).

[19]-أثبت المحقق من حاشية الأصل المخطوط : علم الإعراب هو المعرفة بأحوال الكلم وكيفية تركيبها.

[20]-القسطاس في علم العروض، الزمخشري، تحق فخر الدين قباوة، مكتبة المعارف، ط02، 1989، ص15-16.

2-تاريخ علم النحو العربي:

1-أنماط كتابة تاريخ العلوم:

هناك نمطان لكتابة تاريخ العلوم عامة، وتاريخ علم النحو هنا خصوصا، إلا أن عالم التأليف والمطبوعات غلّب النمط الأول ولم يطالعنا إلا بالقليل بل النادر من النمط الثاني:

*أولا: **تاريخ الشخصيات والمدارس:** وهو النمط الأكثر كلاسيكية، وهو ينتمي عموما إلى مدرسة الحوليات التاريخية المعتمدة على كرونولوجيا الأحداث والوقائع، وبالتالي فهم لا يبين من العلاقات التاريخية إلا تلك التي يظهرها التعاقب المباشر، وهذا النوع من الكتابة التاريخية لا يجلي إلا جزءا من التاريخ الفعلي للعلوم، ويندرج في هذا النوع مؤلفات تاريخ النحو العربي القديمة، وتمثلها خصوصا كتب طبقات النحويين التي مهدت بين يدي التراجم بمسح تاريخي لأوليات نشأة الدرس النحوي، ويقف هذا العرض في أكثر الأحيان مع طبقات الخليل بن أحمد وأضرابه. ومن أهم الكتب التي احتوت على هذه المقدمة الكرونولوجية: أخبار النحويين البصريين لأبي سعيد السيرافي(ت368هـ)، وإنباه الرواة عن أنباه النحاة للوزير القفطي(ت   ).

*ثانيا: **تاريخ الأفكار النحوية:** وهو النمط الأكثر علمية بالنسبة لأهداف التأريخ للعلوم، والأكثر فعالية لفهم البنية العميقة لعلم النحو في حالتنا، ويعتمد هذا النمط على كل أنواع العلاقات والتفسيرات الممكنة: التعاقبية والجدلية والعلية والطفرات وقوانين التأثير والتأثر وغير ذلك. ولا بد من الاعتراف بأننا إلى الآن لا نملك كتابا جامعا في المكتبة العربية يفسر تاريخ النحو العربي بهذه الصورة ويؤرخ له ضمن هذا المنهج، ولكن المادة مهيئة لمثل هذا العمل من خلال آلاف الدراسات العلمية التي أنجزت في المائة سنة الأخيرة والتي غطت بصورة تجزيئية هذا الحقل، هذا إضافة إلى امتلاك كثير من ككبار أساتذة اللسانيات العربية المعاصرين تصورات شمولية عن الحراك العام للفكر النحوي العربي، وتحديد المحطات المفصلية فيه.

وسنحاول أن نطرح في عنصرين من المدخل عرضا عاما وفق النمطين لتيسير تصور تاريخ النحو العربي وفق هذين المبدأين، مبتدئين بالنمط الكرونولوجي الكلاسيكي، ومرجئين النمط التحليلي إلى حين دراسة المفاهيم الأساسية في النحو العربي.

2-الإرهاصات:

*كتابة المصحف الشريف:

1–قال القفطي: "وروي أيضا عن أبي الأسود قال: دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب– عليه السلام– فأخرج لي رقعة فيها: الكلام كلّه اسم وفعل وحرف جاء لمعنى. قال: فقلت: ما دعاك إلى هذا؟ قال: رأيت فسادا فى كلام بعض أهلي؛ فأحببت أن أرسم رسما يعرف به الصواب من الخطأ. فأخذ أبو الأسود النحو عن علي– عليه السلام– ولم يظهره لأحد. ثم إن زيادا سمع بشيء مما عند أبي الأسود، ورأى اللحن قد فشا؛ فقال لأبي الأسود: أظهر ما عندك ليكون للناس إماما. فامتنع من ذلك، وسأله الإعفاء، حتى سمع أبو الأسود قارئا يقرأ: ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[سورة التوبة: 03] (وَرَسُولِهِ) بالكسر؛ فقال: ما ظننت أمر الناس آل إلى هذا. فرجع إلى زياد فقال: أنا أفعل ما أمر به الأمير؛ فليبغني كاتبا لقنا يفعل ما أقول، فأتي بكاتب من عبد القيس، فلم يرضه، فأتي بكاتب آخر– قال المبرّد: أحسبه منهم– فقال له أبو الأسود: إذا رأيتني قد فتحت فمى بالحرف فانقط نقطة فوقه على أعلاه، وإن ضممت فمي فانقط نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت فاجعل نقطة من تحت الحرف، وإن مكّنت الكلمة بالتنوين فاجعل أمارة ذلك نقطتين. ففعل ذلك، وكان أوّل ما وضعه لهذا السبب"[21].

2–قال القفطي: "وقيل: إن زياد ابن أبيه قال لأبي الأسود: إن بَنِيَّ يلحنون فى القرآن، فلو رسمت لهم رسما. فنقط المصحف. فقال: إن الظئر والحشم قد أفسدوا ألسنتهم"[22].

3–قال ابن الأنباري: "وروي أيضاً أن زياد بن أبيه بعث إلى أبي الأسود، وقال له: يا أبا الأسود، إن هذه الحمراء قد كثرت وأفسدت من ألسن العرب، فلو وضعت شيئاً يصلح به الناس كلامهم، **ويعرب كتاب الله تعالى!** فأبى أبو الأسود، وكره إجابة زياد إلى ما سأل، فوجه زياد رجلاً وقال له: اقعد على طريق أبي الأسود؛ فإذا مر بك فاقرأ شيئاً من القرآن، وتعمّد اللحن فيه. فقعد الرجل على طريق أبي الأسود، فلما مر به رفع صوته فقرأ: ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[سورة التوبة:03] (ورسولِه) بالجر، فاستعظم أبو الأسود ذلك، وقال: عز وجه الله أن يبرأ من رسوله! ورجع من حاله إلى زياد، وقال: يا هذا، قد أجبتك إلى ما سألت، ورأيت أن أبدأ **بإعراب القرآن**، فابعث إليّ ثلاثين رجلاً؛ فأحضرهم زياد، فاختار منهم أبو الأسود عشرة، ثم لم يزل يختارهم حتى اختار منهم رجلاً من عبد القيس، فقال: خذ المصحف وصبغاً يخالف لون المداد، فإذا فتحت شفتيّ فانقط واحدة فوق الحرف، وإذا ضممتهما فاجعل النقطة إلى جانب الحرف، وإذا كسرتهما فاجعل

[21]–إنباه الرواة، القفطي، تحق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، القاهرة، دط، 1955، (40/1)، الفهرست(ص190 ط–الشويمي).
[22]–المرجع نفسه، (51/1).

النقطة في أسفله، فإن أتبعت شيئاً من هذه الحركات غنَّةً فانقط نقطتين. فابتدأ بالمصحف حتى أتى على آخره، ثم وضع المختصر المنسوب إليه بعد ذلك"[23].

4-قال السيرافي: "أخذ أبو الأسود عن علي بن أبي طالب عليه السلام العربية فكان لا يخرج شيئاً مما أخذه عن علي بن أبي طالب عليه السلام إلى أحد حتى بعث إليه زيادٌ: اعمل شيئاً تكون فيه إماماً ينتفع الناس به **وتُعرب به كتاب الله،** فاستعفاه من ذلك حتى سمع أبو الأسود قارئاً يقرأ: ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[سورة التوبة:03] (ورسولِه)، فقال: ما ظننتُ أن أمر الناس صار إلى هذا فرجع إلى زياد فقال: أنا أفعل ما أمر به الأمير فليبغني كاتباً لقناً يفعل ما أقول، فأتي بكاتب من عبد القيس فلم يرضه فأتي بآخر-قال أبو العباس: أحسبه منهم-. فقال له أبو الأسود: إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه على أعلاه، فإن ضممت فمي فانقط نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت فاجعل النقطة تحت الحرف، فإن أتبعت شيئاً من ذلك غنة فاجعل مكان النقطة نقطتين. فهذا نقط أبي الأسود"[24].

*الحراك الاجتماعي في الدولة الإسلامية الفتية: فإن تداخل اللغات الذب أدى إليه تداخل الأجناس أدى إلى بدء فساد السليقة العربية، وبما أن العربية كانت لغة الدولة الإسلامية ومقوما من مقوماتها فإن حمايتها كانت دافعا أيضا إلى تأسيس علوم العربية.

3-النشأة: أبو الأسود الدؤلي وتلاميذه.

وممن يعرف من تلاميذه ومن هم في مرتبتهم: يحيى بن يعمر، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج، وعنبسة بن معدان الفيل، وشيبان النحوي وغيرهم.

ينسب وضع النحو في أكثر الروايات إلى أبي الأسود الدؤلي، ويظهر أنه كان لأبي الأسود الدؤلي عملان: عمل نظري يهدف إلى درء اللحن وإصلاح اللسان[25]، وعمل تطبيقي يهدف إلى صيانة القرآن ودرء اللحن عنه خاصة، ويختلف النصان 01 و 03 السابقان في ترتيب هذين العملين وإن اتفقا على الفصل بينهما[26].

4-التطور: عبد الله بن أبي إسحاق.

---

[23]-نزهة الألباء، ابن الأنباري، تحق إبراهيم السامرائي، دار المنار، الأردن، ط05، 1982، ص20.

[24]-أخبار النحويين البصريين، السيرافي، تحق طه الزيني ومحمد عبد المنعم خفاجي، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط01، 1955، ص12.

[25]-انظر كذلك: الشعر والشعراء، ابن قتيبة، تحق أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ط02، دتا، (729/2).

[26]-وممن بسط الكلام في العملين: حسن عبد الجليل العبادلة، انظر مقال: أبو الأسود الدؤلي وجهوده في نقط المصحف، مجلة دراسات في علوم الشريعة والقانون، عمادة البحث العلمي في الجامعة الأردنية، مج34، ع01، 2007، ص138.

يعد عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي المؤسس الفعلي لكثير من المبادئ النحوية كمسألة القياس والعلل ومسألة التمثيل الصرفي بـ: (فعل). فإن القياس بشكله المعقد ينسب في الدرس النحوي إلى أحد المؤسسين المركزيين، وهو عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي(ت117هـ)، فقد جاء في كتاب أخبار النحويين البصريين للسيرافي(ص20): "ويقال إن ابن أبي إسحاق كان أشد تجريدا للقياس". وجاء في طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي(14/1): "وَكَانَ أول من بعج النَّحْو وَمد الْقيَاس والعلل"، وقال في موضع آخر(15/1): "وَسمعت أَبى يسْأَل يُونُس عَن ابْن أَبى إِسْحَاق وَعلمه، قَالَ: هُوَ والنحو سَوَاء، أي هُوَ الْغَايَة. قَالَ: فَأَيْنَ علمه من علم النَّاس الْيَوْم؟ قَالَ: لَو كَانَ فى النَّاس الْيَوْم من لَا يعلم إِلَّا علمه يَوْمئِذٍ لضحك بِهِ، وَلَو كَانَ فيهم من لَهُ ذهنه ونفاذه وَنظر نظرهم كَانَ أعلم النَّاس. قَالَ: وَقلت ليونس: هَل سَمِعت من ابْن أَبي إِسْحَاق شَيْئا؟ قَالَ: قلت لَهُ: هَل يَقُول أحد الصويق؟-يعْنى السويق-، قَالَ: نعم، عَمْرو بن تَمِيم تَقُولهَا، وَمَا تُرِيدُ إِلَى هَذَا؟ عَلَيْك بِبَاب من النَّحْو يطرد وينقاس".

وعرف في هذه المرحلة كذلك

5-تأصيل التوجهات الدراسية: عيسى بن عمر الثقفي وأبو عمرو بن العلاء.

اكتشف علماء العربية الأوائل أنه لا بد أن الكشف الميداني الواسع لأوجه الكلام عند العرب من أجل وضع علم عربية متين، وذلك لغرضين: أولهما تفسير التنوع اللغوي في القرآن الكريم الذي كان منطلق هذه الدراسات اللغوية، والثاني تحديد مراتب المسموعات اللغوية من حيث الشيوع والندرة والشذوذ، حتى تكون الأقيسة المبنية عليها قوية المستند، وكان أبو عمرو بن العلاء المازني(ت154هـ) الناهج الأول لهذه الطريقة، التي تحولت مع الوقت إلى تخصص داخل الدراسات اللسانية العربية، حيث صار المعتنون باللسان العربي قسمين: لغويين لهم عناية بجمع المعطيات السماعية، ونحويين لهم عناية بالهيكلة النظرية لقواعد بناء الكلام، وممن اشتهر بعد أبي عمرو بالتحري اللغوي: أبو زيد الأنصاري، وأبو عبيدة معمر بن المثنى، وأبو سعيد الأصمعي وغيرهم.

وبالمقابل استمر عيسى بن عمر الثقفي رحمه الله في نهج ابن أبي إسحاق، وينسب إليه وضع أول المؤلفات فيس النحو، وهما كتابان سماهما: الجامع والإكمال. قال السيرافي في الاخبار(ص26): "وأما عيسى بن عمر وهو في طبقة ابن عمرو بن العلاء فهو عيسى بن عمر الثقفي من أهل البصرة وليس بعيسى بن عمر الهمداني من أهل الكوفة وتروى عنه قرآت. وعيسى بن عمر الثقفي البكر من مقدمي نحويي أهل البصرة وكان أخذه من عبد الله بن أبي إسحاق وغيره. وعن عيسى بن عمر الثقفي أخذ الخليل بن أحمد. ولعيسى كتابان في النحو سمى أحدهما الجامع والآخر المكمل. فقال الخليل بن أحمد:

بطل النحو جميعاً كله *** غير ما أحدث عيسى بن عمر

ذاك الكمال وهذا جامع *** فهما للناس شمس وقمر

وهذان الكتابان ما وقعا إلينا ولا رأيت أحداً يذكر أنه رآهما. وكان عيسى بن عمر فصيحاً ويروى عنه أشياء كثيرة من القراءات".

6-الطفرة: الخليل بن أحمد وجيله.

7-التدوين: كتاب سيبويه.

8-المدارس: البصرة والكوفة.

9-بداية القرن الرابع: بغداد.

10-نهاية القرن الرابع: شراح سيبويه.

11-النحو خارج العراق:

*مصر.

*الأندلس.

*أقطار أخرى: المغرب، الشام، اليمن.

3-علوم النحو العربي:

1-علوم المتن النحوي:

-علم النحو.

-علم التصريف.

-علم العلل.

-علم الحدود.

-علم الخلاف.

2-علوم التأصيل النحوي:

-علم أصول النحو.

-علم الشواهد.

2-علوم التطبيق النحوي:

-معاني النحو.

-علم الإعراب.

4-علوم متعلقة بالنحو العربي:

1-العلوم اللغوية:

2-العلوم الإسلامية: علوم المصادر-علوم المقاصد-علوم الآلات.

3-علوم الأدب.

4-المنطق والفلسفة.

5-الترجمة.

5-تحليل المتن النحوي:

1-المعارف النحوية:

-الأوضاع النحوية.

-الحدود النحوية.

-الأحكام النحوية.

-الشروط النحوية.

-المصطلحات النحوية.

-العلل النحوية.

2-الآليات النحوية:

-الموضع.

-الرتبة.

-العلامة.

-التقدير.

-التأويل.

-ثنائيات التحليل: الأولية والثانوية-القوة والضعف-القرب والبعد-الحسن والقبح-الجودة والرداءة-القياس والشذوذ-الذكر والحذف-التقديم والتأخير-العمدة والفضلة-المعرب والمبني-العمل والمعمول-الأصل والفرع.

6-مناهج التأليف النحوي:

1-مشكلة المنهج في المؤلفات النحوية الأولى.

2-المؤلفات العلمية والمؤلفات التعليمية.

3-فصل علم التصريف عن علم النحو.

4-الأوضاع المضمونية للتأليف النحوي:

1)الكتب الشاملة.

-مراعاة أوضاع الجملة: اسمية وفعلية.

-مراعاة أوضاع الرتبة: العمد والفضلات.

-مراعاة جنس الكلم: الأسماء والأفعال والحروف.

-مراعاة أوضاع الإعراب: المعربات والمبنيات.

2)الكتب المتخصصة:

-كتب الحروف.

-كتب العلل.

-كتب المسائل: المسائل المفردة-المسائل العارضة-المسائل الخلافية.

-كتب النقد النحوي.

-كتب الحدود.

-كتب منوعة: الأشباه والنظائر-مجالس العلماء-الأمالي النحوية-الألغاز والمشكلات.

3)الكتب المساعدة:

-كتب شروح الشواهد.

-كتب طبقات النحويين.

5-الأوضاع الشكلية للتأليف النحوي:

1)الفصوص:

-المطولات.

-المتوسطات.

-المتون النثرية.

-المنظومات.

2)الشروح:

-الشروح.

-الحواشي والتقريرات والتعليقات.

7-تاريخ التفكير النحوي:

1-تاريخ النماذج النحوية.

2-النحو في أطر غير لغوية: مشروع ابن مضاء القرطبي.

3-مؤثرات خارجية في تاريخ النحو: مسألة النحو العربي والمنطق الأرسطي.

4-النحو المدرسي ومدرسة ابن مالك.

5-شذوذات في تاريخ الفكر النحوي: النحو الصوفي.

6-النحو العربي وتحديات العصر:

-النحو والتطور اللغوي.

-النحو العربي في مقابلة الأنحاء الأخرى.

-النحو العربي والنمذجة والحوسبة.

-نزعات متناقضة في الدراسات النحوية المعاصرة.